النكتة الشعبية ودورها في عرض ونقد المفاهيم الاجتماعية

Popular humor and its role in presenting and criticizing social concepts

طالب الدكتوراه بلحاج جلول [1]

[1]جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان –، البريد الالكتروني: Djelloulogbi46@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/05/19 تاريخ القبول: 2020/04/27 تاريخ النشر: 2020/06/17

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى معالجة النكتة الشعبية وإلى الكشف عن مدى دورها في عرض ونقد المفاهيم الإجتماعية على اختلاف موضوعاتها المطروقة، وتعدد قوالبها المتبعة، وتنوع شرائحها المستهدفة، وتطور منابرها المختلفة. فمن خلال ذلك كله، ومع الوقوف على طبيعة المصدر المنتج، والفئات المستقبلة، وآليات النقد والسخرية والفكاهة الموظفة يتبين للناظر فاعلية النكتة الشعبية، واتساع مساحاتها. وكيف حظيت بالتدوين والتناقل عبر الأجيال المتلاحقة، في الأمة الواحدة بل عند جميع الأمم، فلا عجب أن نالت بذلك وبغيره مكانها من الآداب المحلية والعالمية. وعن طريق رصد لنماذج مختلفة، ومن بيئات أكثر اختلافا وبعد التحليل للمضمون ذي الخلفية الثقافية المشتركة، وتحديد الهدف ووتوظيف الآلية يتم تفسير مدى التقبل الاجتماعي لأدب النكتة، والاحتفاء بنقله وتدوينه، والتعبير عن طريقها عن كثير من المواقف الجادة اتجاه ظروف أكثر جدية.

الكلمات المفتاحية: النكتة، اللغة، النقد، المجتمع، الأدب.

The aim of this article is to address popular humor and to reveal the extent of its role in critique and formulation of social phenomena, with different themes, and the multiplicity of language templates, the diversity of its target segments, and the development of their platforms. It

المؤلف المرسل: بلحاج جلول

is through this, with an indication of the nature of the productive source, the receiving groups, and the mechanisms of criticism, irony and humor shown to the viewer the effectiveness of popular humor, and the breadth of its space. And how it has been codified and transmitted through successive generations, in the one nation, but in all nations, it is no wonder that it received this and other places of local and international literature. By monitoring different models, different environments, and after analysis of content with a common cultural background, the objective and mechanism is to explain the social acceptability of humor literature, to celebrate its transfer and codification, and to express its way from many serious attitudes towards more serious circumstances.
Keywords: humor, language, criticism, society, literature.

المقدمة:

تمثل دراسة الظواهر الاجتماعية عملا أكاديميا مهما؛ لكون تلك الظواهر مجالا حيويا خصبا، وميدانا حساسا، يعكس بصفة عَملية دقيقة لمفاهيم المجتمع، ولمجموع آماله وآلامه. وتندرج النكتة الشعبية ضمن هذا السياق، فهي تتناول كثيرا من تلك الظاهر بصفة نقدية، تنطلق من تقويم جماعي للموقف؛ فتتقبل لأجل ذلك كامل الفئات الشعبية محتوى النكتة من باب التفهم للتقويم الذي تحتويه، وطبيعة العرض الساخر الاستفزازي الذي غالبا ما تبرز فيه.

والنكتة الشعبية ليست على نمط واحد ولا أن نقدها موجه إلى فئة واحدة بعينها؛ بل قد تكون عامة كما تكون خاصة، وقد توجه إلى فئة بعينها كالمعلمين أو المرأة والرجل، أو بعض المتدينين كما تكون موجهة إلى الشعب بأكمله كالنكتة التالية بأن مصريا قال لجزائري: نحن مذكورون في القرآن عند قوله تعالى (اهبطُوا مصرًا)[البقرة:]، فرد عليه الجزائري ونحن أيضا. فقال المصري متعجبا: وأين ذلك! فقال له الجزائري: في قوله تعالى (من شرّ ما خلَقَ)[سورة الفلق]. والمقال التالي يركز على نكت الجزائريين شرقا وغربا وفي مجالات مختلفة لذلك فهو يحكي خصوصيتها من جهة كون أكثرها باللهجة العامية، فهي لغة الاتصال بين جميع شرائحه.

1. تعريف النكتة:

1.1- التعريف اللغوي: بمراجعة المادة اللغوية لكلمة نكتة في كثير من مصادر العربية ومعاجمها قديما وحديثا، نقف على المعاني الآتية مما يناسب معناها الفني؛ ففي تاج العروس مثلا " النُّكْتَةُ هِيَ اللَّطِيفةُ المؤَثِّرةُ فِي القَلْب، من النَّكْتِ، كالنُّقْطَةِ من النَّقْطِ، وتُطْلَقُ عَلَى المسَائل الحَاصلَة بالنَّقْل المؤَثِّرة فِي القَلْبِ."[1]، وعند الجرجاني في كتاب التعريفات: " النكتة: هي مسألة لطيفة أخرجتْ بدقة نظر وإمعان، من: نكتَ رمحه بأرض، إذا أثر فيها. وسميت المسألة الدقيقة: نكتة؛ لتأثير الخواطر في استنباطها."[2]. وفي الكليات لأبي البقاء نقرأ المرادفة بين النكتة والبادرة، فقد قال عن البادرة: هِيَ النُّكْتَة الَّتِي يُبَادر بهَا الْإِنْسَان لحسنها؛ وَمِنْه سمي الْقَمَر لَيْلَة كَمَاله بَدْرًا لمبادرته. ونطالع أيضا مرادفة بينها وبين النادرة؛ والنادرة: هِيَ النُّكْتَة الغريبة الَّتِي لَا يَأْتِي بهَا الْأَولونَ."[3]. وفي المعجم الوسيط: " (النُّكْتَة) الْأَثر الْحَاصِل من نكت الأَرْض، والنقطة فِي الشَّيْء تخَالف لَونه، والعلامة الْخفية، والفكرة اللطيفة المؤثرة فِي النَّفس."[4].

2.1- التعريف الفني للنكتة: ومن جهة فنية فإن النكتة هي: " تقنية لغوية بالغة التكثيف والسخرية، شديدة النفاذ بمضامينها المركزة التي تغني الواحدة منها عن مقال كامل أو حديث مسهب.." [5]. وهذا القدر من التوارد بين المعنيين كاف في توضيح طبيعة وأثر النكتة، حتى مع تسميتها ملحة أو طرفة أو نادرة... وهي التسميات التي كثيرا ما أطلقت خصوصا في التراث العربي على نفس مضامين النكتة بمعناها الحديث.

ويذكر جابر قميحة: " أن النكتة هي عمل درامي مستقل بذاته له تركيبة أدبية مضغوطة ومكثفة، وهي إفراز ساخر لأزمات الدول والثقافات، فيكفي أن تتعرض بنكتة لأي فئة حتى تنبري هذه الفئة بطريقة قبلية حماسية للدفاع عن نفسها حتى لو لم تكن النكتة تمسهم بشكل مباشر." [6]؛ فهي على هذا شكل من التفاعل الاجتماعي بخلفيات ثقافية متناقضة في أحيان كثيرة.

2. مصادر النكتة الشعبية:

1.2 – عدم التعيين: أقصد بالمصدر هنا الطرف المنتج للنكتة، فمع أن كثيرا من النكت وردت منسوبة إلى أشخاص معينين مثل جحا، وأشعب كأشخاص، أو أهل مرو أو الصعيد نسبة إلى أمكنة إلا أن

الغالب في ذلك عدم تعيين الطرف المنتج. بمعنى أن هؤلاء إنما أضيفت لهم النكتُ والطرائف والملح للإشهار لا غير. وقديما كان يقال مثلا: يحكى أن جحا، أو أن أعرابيا، وحديثا نقول: واحد الراجل أو المرأة أو المعلم... مما يدل على عدم التعيين، وعلى ذلك فالنكتة: موقف صاغه عقل جماعي مجهول بمفردات بسيطة قوامها المفارقات المكثفة التي تعجُّ بها وقائع الحياة اليومية. وربما كان هذا هو الذي يمنحها صفة التجريد والعموم أي أنها قابلة للانطباق على كثيرين بلا حصر ولا تحديد.

2.2– الإنتاج المشترك: والذي يبدو أن الغالب أيضا في إنتاج النكتة هو الإشتراك في إيجاد الأرضية بكثرة التعليقات، والأفكار المقدمة حول حدث ما أو موقف معين، مما يسمح بالتقدم في صياغة القالب النهائي. ونحن نرى كثيرا كيف يسهم الحوار المشترك في إنتاج جزء كبير من التعليقات اللطيفة... والساخرة والمضحكة إلا أن الإخراج كما يقولون في السينما والمسرح يبقى طرفا غير محدد، وهو ما يرشح أن يكون مشتركا إلى حد كبير. وفي النص السابق إشارة إلى ذلك في قوله: " عقل جماعي". فالنكتة " نتاج للجماعة يتسم بطابع الشعبية في الابتكار والانتشار، فلكل من أفراد الجماعة إضافة تضاف لرصيد غيره أو تعديلٌ لمعطيات إنتاج من سبقه." [7].

2. 3– استنساخ االنماذج المتاحة: وهناك ظاهرة أخرى مثيرة وهي أن كثيرا من النكت بنيت على أساس نكت سابقة مشابهة، أو قل متجانسة، وإنما يختلف الموضوع أو الشخص أو العقدة إن صح هذا التعبير. نجد ذلك في حكايات الطماعين والبخلاء والفضوليين، والحمقى...وأسوق هنا نكتا قديمة قد يوجد لها مشابه منها: أن سقراط قال في مجلس درسه يوما أن الموت والحياة سيان. فقال له رجل: فتمنَّ الموتَ إذن يا سقراط. فقال سقراط: أنا قلت سواءٌ، ولم أقل: الموت أفضل. ومنها أيضا أن سقراط سقط في حفرة فمرت بع عجوز فقالت له: ما الذي شغل بالك؟ فقال لها: شغلتُ بعدّ نجوم السماء. فقالت له: لو اشتغلت بعد حفر الأرض لكان خيرا لك.

وأسوق النص التالي فهو يفيد ذلك وغيره، يقول عبد الله الهاشمي " يؤمن الفولكلوريون بأن النكتة لا يتم اختراعها ولكن تتطوَّر. وبحسب ليقمان لا توجد نكتة محكية لأول مرة، فمعظم النكات المتداولة حالياً

تعود في أصولها إلى مئات السنين، ولكنها قد تظهر في كل مرة بثوب مختلف بحسب ما يَخلع عليها الوسطُ الثقافي المتداولة فيه من مظهر جديد." [8].

4.2– الابتكار الفني: وهناك من الباحثين من يرى أن النكتة تشكل إفرازا لمشاعر ومواقف وآراء لا تدل على شخص صاحبها، وغالبا ما تنشط في حالات الضغط الاجتماعي أو الإحساس بالقهر، ولا يعرف كيف تصاغ أو تكتب أصلا، ومن أين تأتي، إلا أنها تعد آلية من آليات الهزل والضحك. وهي وسيلة للتنفيس والتعبير عن المشاعر والأفكار المحرمة والمكبوتة، وهناك دوافع تؤدي إلى تأليفها وإبداعها."[9]. ولا شك أن الجنوح إلى نقد المواقف الجادة بما هو هزل شيء فني مبتكر، لكونها يؤثر في السامع أضعاف ما يؤثر النقد الجاد.

3 – منابر النكتة الشعبية:

أقصد بالمنابر هنا أين يمكن الترويج للنكتة وإشاعتها، وبعد التتبع نجد أنها أكثر ما تكون حيث يتوفر الاجتماع ويضعف عامل التحفظ، ويُحتاج إلى تلطيف الجو، وإثراء برنامج الاجتماعات الشعبية بمتنوعات نقدية، وأخبار محلية ودولية... وفي ذلك يتبين أن النكتة بهذا المنحى تعد" تراثا يرتبط بالشعبية، يتناقل بالكلمة الشفهية المنطوقة للنصح والتوجيه، والتربية تارة والتوجيه والتربية تارة، والترفيه والتنفيس تارة أخرى عن طريق ضرب الأمثلة والترميز والمقارنة، ويبقى من أرقى الصور الصادقة للطباع الشعبية في مختلف العصور والأقطار."[10]. وقالب اللغة من جهة كونه بالفصحى أو العامية لا يضعف هذا التوجيه، ولا حتى أن تتولى النخبة صياغة بعض هوامش التنكيت فالعبرة بالطرف المستهلك والموجة إليه هذا الأدب المتاح والهادف أيضا.

وبالإمكان رصد هذه المنابر بترتيب تاريخي يقتضيه منطق الأشياء، فيكون الأمر كالتالي: الأسواق الشعبية المحلية والوطنية، والمقاهي الشعبية البسيطة والراقية، والصحف السيارة الأسبوعية وخصوصا اليومية، ومواقع التواصل الاجتماعي. ويمكن ترتيبها من جهة اتساع مساحاتها كما يلي: مواقع التواصل الاجتماعي، والمقاهي، والصحف، الأسواق...

3. 1– الأسواق والأماكن العامة: لعل الأسواق من أقدم أماكن تواجد النكتة الشعبية، وذلك لعدة عوامل منها أنها نقطة اجتماع متكرر لأعمق شرائح المجتمع، وأكثرها تنوعا، وأوسعها تحررا من الرسميات والرقابة، ثم هي من جهة أخرى تحكي المعاناة الحقيقية وقد تكون مصبوغة بدرجات متفاوتة من الإحباط النفسي، والتحدي الاجتماعي، ثم هي مركز للخبرة الاجتماعية المتراكمة التي صنعتها الأحداث، وأنضجتها تقلبات الزمان...وغالبا ما تنتج النكت الشعبية من تعليقات، وأحكام واستنكارات، وردود فعل ساخرة أو شكاوى مرة... وهكذا يتم تهيئة مقدمات جيدة وكافية لمن يتقن صناعة وصفة سحرية من جميع ما يتم في أضيق مكان وأوسع مجال للتعليقات الجاهزة؛ فيكون من ذلك بحبكة فنية جيدة ومباشرة؛ لأنها ستوجه لمجتمع متنوع المستوى متحد الاهتمام، تلعب فيه اللغة العامية دورا كبيرا لكونها لغة التواصل في الأسواق بالدرجة الأولى.

وإن شخصية " المداح " الذي قلما كانت تخلو منه الأسواق وإلى عهد قريب، يقوم بدور نقل النكتة، وحسن عرضها، مدفوعا بعامل الإثارة وشد الانتباه، واسترضاء الجمهور، والتعبير عن اهتماماته بما لا يصدم مشاعره، ويوفر له فرصة ارتخاء من عناء الحياة، وصعوباتها المتلاحقة. وأذكر ههنا نكتة كنت قد سمعتها من بعضهم من أنه في القديم أراد طائر أن ينزل إلى الواد ليشرب، فرأى صاحب لحية فاطمأن له؛ ولكن الأخير كسر جناحه بحجر رماه به عبثا، فاشتكاه الطائر إلى القاضي، فحكم الأخير بقطع رجل الملتحي ويده، فقال له الطائر: أيها القاضي لا تفعل، أطلب فقط أن تحلق لحيتَه فهي التي غرتني. وسأعود إلى التعليق على النكتة لاحقا في محلها.

2.3– المقاهي الشعبية: تتمتع المقاهي الشعبية خصوصا بتواجد واسع، فلا يكاد يوجد حي مهما صغر لا يوجد به مقهى، ويرتاد المقاهي فئات متنوعة، من قريب وبعيد، وقد تكون بعض المقاهي مكانا للاجتماع لفئات من مختلف الولايات، وهو ما يكسبها تنوعا جيدا، وفرصَ تلاقح ممتازة يتم فيها إبداء التعليقات وإظهار الانتقادات بانفعالية شديدة، ثم التهيئة لصناعة نكتة معبرة مثيرة ومقبولة. والمقاهي لعبت هذا الدور من قبل ظهور وسائل التواصل الاجتماعي، ويدلك على أهميتها أنها تروج لنكتة موجودة

في كامل جهات القطر، في ظرف قياسي...غير أن التحفظ موجود هنا أيضا خصوصا في النكت السياسية الموجهة لشخص أو حزب أو جماعة لاحتمال تواجد المعنيين شخصيا أو أنصارهم.

3. 3- الصحافة والكتب المختصة: وأما الصحف اليومية فيتصل دورها بالنكتة الشعبية من جهة توفير ظروف صناعتها ومن ثم الترويج لها، ففي الأخبار اليومية المتلاحقة، وصفحات الحوادث الثابتة، والفضائح المنشورة... يتم جمع مادة النكت الساخرة، وفي صفحاتها ينشر العدد المستمر منها بلغة عربية ومرات باللغة العامية حسب توجه الصحيفة. ومن المعلوم أن عددا كبيرا يقرأ الصحف يوميا، ويترصد أخبارها، ويمر بالنكتة الشعبية كنوع من الاستراحة، والتعقيب على كثير من تفاصيل الصحف اليومية... وبعض القراء يقصدون الجرائد لأجل الترفيه فلا يجدون كالنكتة الظريفة فرصة لذلك.

3. 4- وسائل الإتصال: مع أن مواقع التواصل الاجتماعي متأخرة في الظهور، إلا أنها من أوسع مصادر النكتة الشعبية لكونها متوفرة لدى سائر شرائح المجتمع بمختلف مستوياتهم واهتماماتهم، ثم هي مرتبطة بالهاتف الذكي، وهو جهاز شخصي لا يكاد يفارق صاحبه، ويأخذ من وقته الكثير، وتطبيقاته سهلة لأكثر المستعملين بل لجميعهم، ولأجل هذا وغيره يتوفر للنكتة الشعبية منبر جيد وجديد وواسع، ثم هو مجال لإثبات تعليقات لا حصر لها للمطلعين عليها. وكثيرا ما تكون التعليقات نكتا جديدة أو أرضية لتنكيت جديد. وهناك عامل آخر يروج للنكتة والتعليق عليها بفضل وجود التوزيع لغير صاحب الهاتف من المطلعين. وأكثر من هذا فإن النكتة هنا يتوفر لها السرية التامة، من جهة الاطلاع ونقص أو انعدام الرقابة، ولأجل ذلك أيضا تتجاوز الممنوع إلى نكتة فيها تفاصيل لا أخلاقية، وأخرى تشهيرية بشخص أو مؤسسة...

4 . موضوعات النكتة الشعبية.

1.4- الموضوعات الاجتماعية: لعل النكتة الاجتماعية هي الأكثر شيوعا، ورواجا وذلك أنها بقاعدتها العريضة والغنية بالأحداث والظواهر والتعقيدات، واتساع الشرائح الاجتماعية المستهدفة بالنكتة والمستقبلة لها، تكون مجالا خصبا لصناعة النكتة الساخرة والهادفة واللاذعة أيضا، وفي لغتها البسيطة المباشرة والواضحة كذلك، لتكون ناجحة في توصيل فكرتها.

وتكاد بعض الموضوعات تطغى على بعض، بحيث يأخذ قطاع التعليم ممثلا في " المعلم" والتلميذ وزوجته مكانا واسعا، وكذلك الزوج والزوجة والأولاد، والمسئول في الدولة إلى شخص الرئيس، والوضع العام السياسي أو الاقتصادي..بينما تتأخر النكتة الدينية لما يسود من التحفظ بشأنها. وأريد أن أمثل هنا للنكتة الاجتماعية وأعلق على مضمنوها بإيجاز. ومن جهة اللغة المستعملة فربما أثبت النكتة باللغة العامية في المجتمع الجزائري لأنها لغته الأم المفهومة، والتي وضعت بها. خذ مثلا ما يلي: " الزوج لزوجته رأيتُك البارحة في المنام، وأنتِ هل رأيتني؟ قالت الزوجة: لا، فقد قرأتُ قبل النوم المعوذتين.". ومن الصعب تحديد طرف النُّكت هل هو الرجل لتأكيد وفائه مقابل إهمال الزوجة، أم الأمر بالعكس فهي صاحبة النكتة لتأكيد الإهمال المتعمد. غير أن النتيجة واحدة هي الصراع الدائم على اكتساب الأنصار. ومن الملاحظ هنا أن اللغة الفصحى تؤدي نفس دور النكتة بالعامية.

وفي التراث يقدم الأعرابي نموذجا مستمرا للنكت الساخرة، والتعليقات اللاذعة والغرض زيادة على رصيد البداوة الذي يغني التعليق على الأفكار، والتصرفات هناك إحالة على غير معين، وتقديم انتقادات حادة لأطراف مستهدفة على لسان الأعرابي المذكور. وأسوق نماذج من ذلك منها: فرّ أعرابي من صف القتال فلامه الناس، فقال: دعوني لأن يقال فرّ لعنه الله خير من أن يقال: مات رحمه الله. وواضح القصد من إلصاق الجبن المذموم بشخصية الأعرابي.

ولاحظ التعليق اللاذع فيما يلي: " إذا نمتَ بغطاء واحد فوجدتَ غطاءين فاعلم أنها الأم الحبيبة، وإذا نمتَ بغطائين فوجدتَ غطاء واحدا، فاعلم أنه الأخُ المخادع، وإذا نمتَ فوجدتَ كلّ الأغطية فوقك فاعلم أنهم ينظفون البيت.". وههنا أيضا سقنا النكتة بالعربية السليمة، ولو سقناها بالعامية لكان الأمر متقاربا.

ونركز على النكتة الثالثة: " قالت الأم لولدها الذي ينتمي إلى داعش: يا بني لماذا دخلت السجن وأتعبت نفسك وأتعبتنا معك؟ فقال لها: يا أمي: الحورُ العِين، الحورُ العين. فقالت له الأم: يا ولدي أنت لم ترضَ بك حتى بنات خالك.". فصلب النكتة يركز على داعش، والحور، وبنات الخال خصوصا. وفيه استدعاء للمخيال الاجتماعي أن بنات الخال تقبل بولد العم والخالة كفرصة أخيرة له. واستعمال اللغة

العربية السليمة هنا كاستعمال العامية لأن التركيز على المعنى، بخلاف لو كان التركيز على ألفاظ ساخرة عامية فإن العامية أنسب ولا تنجح النكتة بدون ذلك.

وانظر إلى المثال الثالث الخاص بالتعليم والمعلم " غضبت الزوجة بسبب طلبها من زوجها المعلم شراء زجاجة زيت، فذهب أخوه المعلم لإحضارها بعد استرضاء أهلها، فقالت له: إنه يريد أن تبقى الزجاجة أكثر من شهر. فقال لها أخوه المعلم: شهر، لماذا شهر فقط، هل كنت "تسَّيْقي " أي تنظفين بها البيت؟ فعلمتِ أن الرحمة يا أخوه.". ومحط الانتقاد هو شدة المعلم في النفقة، وهي شدة لها ما يبررها، ولكن طرف النكتة يهمه جمع النقائص والنقائض لا التبريريات.

ولا شك أن الحضور المكثف للمرأة سواء في النكتة أو سائر الفنون الشعبية له ما يبرره فعند علي فرفار: " إن الحكم على مدى وعي المجتمع يرتكز أساسا على مدى وعي نسائه؛ لأن النساء يعتبرن الكائن الناطق الأكثر خضوعا للتقاليد والأعراف والعادات...وبصفة عامة للموروث الثقافي، ومن ثمَّ أي قراءة لجسد المرأة أو فعلها أو قولها يفترض استحضار ذلك الموروث."[11] .

وتبعا لهذا فمن المؤكد أن مقادير كبيرة من أدبيات المرأة خصوصا في النكتة الشعبية إنما وضعت من طرف الرجال على لسان المرأة في الأزمنة التي لم يكن لها أن تعبر عن نفسها بالوضوح المطلوب، أو تضع تعليقات مرتبطة بذلك؛ غير أنه ومنذ زمن قريب صار ذلك ممكنا. ولا يبعد أن الدور قد انقلب فأصبحت المرأة تضع النكة على لسان الطرفين، والتفريق إنما هو بتحديد من تتوجه النكتة إليه بالنقد الساخر. وبعبارة أخرى أنظر من المستفيد من النكتة على طريق البوليس في البحث عن المستفيد من الجريمة.

4. 2- الشخصيات الدينية: يقصد بالدين هنا سلوك المتدينين، وهو هامش مع وجود وغلبة التحفظ فيه إلا أن التراث قد حمل فيه كثيرا من ألوان التنكيت والتعليقات الساخرة خصوصا على معلمي الصبيان، وتتناول النكتة شيئا من ذلك كإبراز بعض الرغبات الحقيقة في الإنسان المتدين التي يتظاهر بسترها والتنكر لها، أو أن الإمام يحتفظ لنفسه بفتاوى خاصة سهلة...ومرات يكون معنى الدينية سلوك بعض الناس في الصلاة أو الصيام أو المسجد إلى غير ذلك. والنكتة التالية من هذا النمط وهو" أن بعضهم تاب وأراد الصلاة فصلّى لفرْط العاطفة لأول مرة خلف الإمام فقرأ الأخير (ألم نهلك الأولين)، فتأخر للصف الثاني

فقرأ (ثم نتبعهم الآخرين)، فزاد وتأخر إلى الخلف فسمع (كذلك نفعل بالمجرمين)، فخرج هاربا يحسب أن الإمام يتحدث عنه.

ومما ورد في التراث أن بعضهم سمع إماما يقرأ (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه خمسين ليلة)[الأعراف:]؛ فقال له: لم تحسن القراءة ولا الحساب. والآية (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)[الأعراف: 142]. وغرض النكتة التشهير بمن يتقدمون للصلاة ولا يتقنون القراءة والفهم...

وعندما ظهر عادل إمام الفنان المعروف خطب الشيخ كشك رحمه الله: سألنا الله أن يأتينا بإمام عادل فأعطانا عادل إمام."؛ فكان فيها من الموقف اللاذع ما هو واضح. وهو كذلك نوع من اختصار التقييم الاجتماعي للأشخاص داخل المجتمع من شخص جاد يستعان به في إصلاح الأوضاع إلى شخصية فكاهية يستعان بها غالبا على التهرب من الهموم لا غير. وقد تفسرُ النكتة بغير هذا التفسير فيكون ازدياد مساحة المدلول فرصة للتوسع في تأثير النكتة والجدة في دورها النقدي.

وأسوق النكتة التالية وأتوسع فيها لكون التفصيل مقصودا في صناعتها وذلك :" أن بعض الطلبة كان مشارطا في القرى يدرس لهم أو يصلي بهم نظير توفير الطعام والمأوى البسيط، وكان بعض الطفيليين يتربص وقت الغداء بالطالب ليأكل معه غداءه المحدود. وقد تذمر الطالب من ذلك فحدَث أن وضع في الطعام مخدرا، حتى إذا أكله الطفيلي جعله في كفن وربطه، وحفر له قبرا، ولبس الطالب لباسا أبيض يتشبه بالملائكة وحمل عصا غليظة. فلما أفاق الطفيلي سأله الطالب: تصلي؟ قال: لا. قال له: لا عليك الصلاة ثقيلة .. تزكي؟ قال: لا يا سيدي. قال له: لا عليك الزكاة صعبة... تحافظ على حقّ الطالبْ؟ قال له يا سيدي وحكى له الحكاية وهو نادم، فضربه (الملَك في اعتقاد الطفيلي) ضربا مبْرحا على الرجْلين، ثم أطلقه، فصار ينادي في الأسواق أنه قد مات وشهد الحساب، وأنه لا شيء على من لا يصلي ولا على من لا يزكي، ولكن الويل لمن لا يحافظ على حقّ الطالب. فانقطع عن فعله ولو ناداه الطالب إلى ذلك.". وواضح أن المراد أساسا من ذلك كله إنما هو الزجر عن تضييع حق الطلْبة، وأن المعلم ليس له أكثر من

استعمال الحيلة. وبالنسبة لشخص النكتة المستهدف وهو الطفيلي فقد تكون الحيلةُ في ترك الحيَل، كما يقولون.

4. 3- المواقف السياسية: لا يقلّ هامش النكتة السياسية في مجتمع ما عن غيرها من أنواع النكت، وربما في أصعب لحظات الحذر السياسي، تتسرب النكتة موغلة في الرمز، وقد يكون ذلك من بعض السياسيين أنفسهم، وإنما كانت السياسة هدفا للتنكيت؛ بسبب أهمية الشأن العام، وما يفرضه من الضغط، وما يمليه من محاولات التخلص من ضغوطه بالتعبير عن السخط أو النقد الحاد أو الرفض لبعض القرارات او السياسات أو سلوك بعض الساسة أو تصريحاتهم... وذكر بعض الباحثين أن من أهم دوافع تأليف النكتة الدافع السياسي، كانعدام الأمن والقهر والتفاوتات الاجتماعية، والقمع المادي والمعنوي المسلط على حريات التعبير والرأي. فهي " تعالج بعضا من معاناة الناس وسخطهم على مجريات الأحداث، وفوضى الحياة السياسية والعامة. فالنكتة السياسية تظهر عادة في المجتمعات نتيجة فشل السياسات العامة للدولة، التي ينتج عنها الانفلات والفوضى، ويكثر عَوَزُ الناس وفقرُهم، ويزداد الظلم اليومي الذي يقع عليهم، فهي فعل ناقد، ومقاوم لتردي الأوضاع السياسية والاقتصادية، وهي أحد أوجه محاربة انتشار فساد أجهزة الدولة، ولذلك فالنكتة تزدهر في ظل الأنظمة الديكتاتورية، التي تغيب فيها عدالة النظام والقانون، وتنحسر حرية الرأي والتعبير، ويكثر فيها بطش الحاكم وظلم الأجهزة."[12]. فزيادة على ما فيها من النقد، فهي عامل تشهير قوي على ضعف السياسيات، ورداءة التدبير، والتغول في الشأن العام. غير أن حصر شيوع النكتة في أزمنة الشمول تنقصه الدقة فنحن نرى في الاحتجاجات وهي مظهر تحرري أمام ضعف جهاز الرقابة فرصا مستمرة وكثيرة لصناعة النكتة وتولين أهدافها.

وكثيرا ما يكون في النكتة نفسها لا في التعليقات عليها تعيين أطرافها المستهدفة، وذلك كله كشكل من أشكال " نقد السياسات الفاشلة، والتندر على الشخصيات السياسية والعامة من قادة وزعماء سياسيين، وعسكريين، تتعرض لمراقبة الأجهزة في الكثير من الأنظمة السياسية." [13].

وقد يحدث ذلك أيضا بدون هذه المقدمات في أزمنة التسيب السياسي، وضعف الرقابة خصوصا على الصحف، ومواقع التواصل الاجتماعي...وقد تكون النكت بخصوص أوضاع ماضية لا حساسية في تناولها بالنقد. وسأقدم مجموعة من ذلك تهدف إلى التمثيل لذلك:

- " **اللي ما قراش في وقت بومدين ما يقراش، واللي ما دارش الدراهم في وقت الشادلي ما يديرش، واللي ما ماتش في وقت زروال ما يموتش، واللي ما خرجش من الحبس في وقت بوتفليقة ما يخرجش**."، وهذا الغرض منه الفكاهة، مع التسامح في الدقة وصدق الحقيقة أحيانا. وهو يعكس فترة محددة من غير الدقة تجاوزها إلى ما بعدها وإلا فإن الوفرة المالية التي أعقبت بوتفليقة لا تقارن بما كان زمن الشاذلي، واتساع التعليم كذلك. وإن كان في بقية المذكورات ما لا ينعكس.

- وكذلك التصنيف التالي فيه من الظرافة في تقديم الأمور مع التسامح في الدقة " **اللي راهم يخدموا غير المعلمين، واللي راهم يخلصوا غير الديبيتيا والسوناطراك، واللي راهم ينْعرضوا وينزاروا غير الطلبة والأئمة**.. والغرض لفت الانتباه إلى تفاوت الفرص الرسمية والشعبية بين الناس، وهو وليد المعاناة لا غير. وهو أيضا محدود بفئات خاصة. والغرض أن النكتة تحترف الطرافة وقد لا تشخص الواقع بدقة فتنقلب إلى خبر تاريخي أو مسألة علمية تثير الجدل أكثر الراحة والفكاهة.

- ويحكى أن المرحوم الشاذلي بن الجديد رحمه الله زاره أحد رؤساء الولايات المتحدة، فطاف به الجزائر العاصمة وما بها من المباني القديمة، فلما زاره هو نيويورك ورأى من خلال الطائرة ناطحات السحاب الطويلة والقصيرة والمحدبة... فقال له الشادلي: أنتم أيضا مثلنا عندكم البناء الفوضوي. والنكتة هنا تندد بالتبريرات المقدمة للعجز مقابل ما هو مطلوب من التقدم في الإنجاز.

فكلما ضاقت مساحة التعبير في المجتمع " ازداد انتشار النكتة وتداولها، بل وزادت كمية السخرية في محتواها لتصبح كوميديا سوداء؛ إذ إن سياسة الدولة وقراراتها ورموزها تشكل موضوعات أساسية للنكتة، وقد وجد أفراد الشعب في النكتة والتنكيت وسيلة وسلاحا فعالا للتعبير عن الآراء والمواقف التي لا يقوون على الجهر بها، وبذلك فقد شكلت سلاحا يشهره الضعيف ضد القوي والأقلية ضد الأغلبية، وغالبا ما

تكون الإساءة فيها ظاهرة دون معرفة مصدرها أو صاحبها، وقد تنتقل من عصر إلى عصر للغاية والأسباب ذاتها.". [14]

وفي التسعينات وفي عز الأزمة التي عاشها المجتمع والشعب الجزائري، لم تنقطع النكتة بل كانت محط أسماع المتابعين، ولعل في ذلك تعبيرا عن السخط الذي آلت إليه الأوضاع، تراكم من الضغوط على المجتمع ما كان لابد أن توجد للنفوس متنفسات صامتة كالرسم... وأخرى ناطقة ومنها النكتة.

5. قوالب النكتة الشعبية: وهي هنا الصيغ التي ترد فيها ومن خلالها، فكما تكون مكتوبة تكون منطوقة لا تحتاج كثيرا إلى تدوين، وإن كان ذلك كثيرا ما يحدث فيما بعد وفي هوامش خاصة للقراء. وأيضا تكون بالعامية تماما كما تكون بالعربية الفصحى لا ينقص ذلك منها شيئا، ما دام لا يوجد تكلف في التعبير يؤدي إلى تغيير النبرات ومرتكزات النكتة...

5. 1– النكتة المكتوبة: في كتب التراث كثير من المؤلفات التي تجمع الطرائف والملح بعضها يحمل هي بالخصوص، وبعضها يحوي الملح مع سائر الموضوعات الأدبية الأخرى. فالجاحظ (255هـ) في البخلاء وهو من أقدم التآليف في الموضوع يذكر من ذلك مادة غنية عن أهل مرو مثلا... وفي أخبار الحمقى والمغفلين مادة جيدة، وفي أخبار الأذكياء وكلاهما لابن الجوزي (597هـ) كذلك. وفي كتاب المستطرف من كل فن مستظرف للإبشيهي (852هـ) موضوعات مختلفة بما فيها النكت والطرائف، وأيضا في كتاب الحيوان للدّميري (808هـ) طرائف عن الحيوانات التي تعرض للتعريف بها وبأسرار طبائعها. وغالبا ما تكون مكتوبة باللغة الفصحى. ويندرج في هذا المكتوب في الصحف والمجلات، وأخيرا في مدونات التواصل الإجتماعي...مع ملاحظة أن ذلك يتم أيضا باللغة العامية العربية والأمازيغية، والمفردات الأجنبية.

5 . 2– النكتة الناطقة: وكما تكون النكتة مكتوبة تتوارثها الأجيال بالتدوين والقراءة، وهي نهاية كثير من النكت التي وصلت إلينا، إلا أن قدرا كبيرا من ذلك إنما يتناقل شفهيا، وذلك لأسباب من أهمها أن الوسط أمي لا تتيسر له القراءة دائما، ومنه أيضا أن الإلقاء كثيرا ما يكون جزءا هاما من فاعلية النكتة ومدى تأثيرها في السامع، وثالثا فإن شخص الحاكي للنكتة ضروري في الأداء وحسن الإلقاء ويزيد النكتة

طرافة قد لا تبلغ مقصودها من دون إسهامه. ولأجل ذلك يقل مفعول كثير من النكت إذا نقلت إلى مجال الكتابة. إن توظيف الإشارة والنبرات الصوتية وشخص الحاكي مهم في النكت الناطقة، تماما كالشخصية النمطية في التراث المكتوب.

5 . 3 – اللغة الفصحى: في التراث الأدبي بمختلف مكوناته اللغوية والمتضمن للطرائف والملح والنكت تشيع الفصحى، ويصاغ بها المضمون، فيؤدي معناه، ويبلغ في قصده مداه، ولكن ذلك ليس متاحا لكل كاتب فليس كل شكل يفي بالمقصود بل إن انتقاء الكلمات، والوفاء بالحبكة الفنية، واستهداف الأساليب التي تخرج العرض من الجدة إلى الهزل، فتثير السخرية المقصودة، والنقد اللاذع، وتنشر الفكاهة المنتظرة. ففي طرائف جحا، ومغامرات أشعب، وشخصية الأعرابي، والمعلم والحماة، والكنّة، وأخبار الحمقى والمغفلين، والفضوليين والطفيليين ما يصنع التراث الأدبي القديم للنكتة الشعبية. وأسوق هنا بعضا من ذلك غير معزو إلى مصدر معين: منها عن سقراط دائما أنه وضع الخاتم في اليد اليسرى على خلاف العادة. فقال له رجل: لماذا فعلت ذلك؟ فقل سقراط: لأعرف عدد الفضوليين في هذه المدينة...، ومنها أيضا: أن الجيش ساق في طريقه أعرابيا للغزو، فلما اصطف الجمْعان قيل له: أيها الأعرابي تجهز للقتال فقد حضر الأعداء. فقال: وأين هم؟ قالوا: هم أمامَك. فقال: أنا لا أعرف أحدا منهم فمن أين تأتي العداوة؟ والنكتة هنا تعيد ما قصدتْه سابقتها وهكذا.

ومنها أيضا أن المرحومة أم كلثوم طلبت من صباح فخري أن يكتب لها كلمات أغنية معينة، فكتب لها المقدمة وسألها كم مقابل ذلك من النقود؟ فقالت له: يكفيك أن أم كلثوم تغني كلماتك. فقال لها: كلا لا يكفي فإن البقال (تاجر المواد الغذائية) تحت العمارة لا يكفيه أن يشتري منه صباح فخري. يعني يطلب نقودا.

5. 4 – اللغة العامية: ولا ينقص من قيمة ولا دور النكتة الشعبية أن ترد في قالب اللهجة العامية، بل كثيرا ما يكون ذلك ضرويا لها، لكون الكلمات المفتاحية لا توجد أو لا تؤثر نفس المفعول ما لم تكن بالعامية، ويوجد من ذلك مقادير كبيرة كتبت وألقيت بالعامية جزائرية أو غيرها، حيث يتم المحافظة على

كتابة كلمات النكتة بالعامية بنفس دقة النطق بها. وقد سقت وسأسوق نماذج من ذلك في محلها لا يصلح لها غير العامية، وإلا انقلبت بالفصحى مثلا إلى مجرد كلمات متتابعة لا تؤدي مقصودها لبرودتها.

5. 5 – مهارة الأداء: ومما يتصل بنجاعة النكتة خصوصا الناطقة منها، ما يتمتع به كثير من المنكتين من حس نافذ في التعبير الجيد واختيار الألفاظ المفتاحية المناسبة، والقدرة على الضغط على جمل وكلمات وربما حروفة خاصة، واستعمال نبرات صوتية مثيرة، زيادة على ما يتمتع به هؤلاء من حس فكاهي، وروح مرحة تجعل كلامهم وتعليقاتهم محل اهتمام وأرضية جيدة لإنتاج أو إعادة إنتاج نكات جديدة أو مشابهة.

وهذا نفسه يتكرر عند الكُتّاب من اختيار تقنيات التعبير الجيد والكلمات المؤثرة، والأساليب الخفيفة المرحة، والنهايات المثيرة... وبغير ذلك تفشل كل محاولة لإخراجها في قالب فني معبر يحمل خصوصية النكتة، ويميزها عن غيرها من الألوان الأدبية الأخرى.

6 . – أهداف النكنة الشعبية:

6 . 1– التعليق والتقييم: لا شك أنه من ضمن مهمات النكتة الشعبية وهو قصد يأتي بالتبع أنه يرصد الظواهر الاجتماعية، من جهة مدى وجودها، وطبيعتها وكيف يتعاطى المجتمع حيالها، وما هي اللغة المستعملة في التعبير عنها، وإلى أي درجة تنجح النكتة في التعبير عنها. وربما زاد ذلك إلى بيان المواقف من تلك الظواهر وأسبابها.. من كل ما يفيده توارد النكت في زمان ومكان معينين مما يمثل خلفية ثقافية واجتماعية متنوعة للنكتة.

والنكتة بذلك " تساعد المبدع الشعبي على التعبير والتفنن في تضمين الأحداث والوقائع بطرق يبتكرها هو وبمزاجه الخاص، فالنكتة لا تكلف صاحبها ابتكارا في خلق الموضوعات بقدر ما يتطلب منه أن يضفي عليها الترفيه والإمتاع، اللذين يتماشيان وذوق الطبقات الشعبية،"[15] .

فوجود النكتة في موضوع المعلمين والصبيان، وما يعانيه المعلم معهم، ظاهر اجتماعية مستمرة، وقد تتضمن النكتة بعض تفاصيل تلك العلاقة، والحلول الظرفية...والنكت حول أم الزوجة (الحماة) وما يعانيه الزوج معها ظاهرة مستمرة. والنكت أحد أدواة الكشف الاجتماعي عن تفاصيل تلك المعاناة، وما يهتدي إليه المعلم أو الزوج مثلا من وسائل الخلاص، وطبيعة المواقف من جهة الشدة أو استعمال الحيل.

والنكت الدينية حول الإمام الذي أكلت له المعزة الخطبة قبل الجمعة أو نسيها في البيت البعيد، أو سقطت بين المنبر والحائط المثبَت، وأنه أشار إلى أن موضوع خطبته اليوم هو نفس الخطبة الماضية، وأمر بإقامة الصلاة؛ فهي تكشف عن اعتماد الخطيب رأسا على الخطبة المكتوبة، بحيث يعجز عن ارتجال غيرها. وهذه فرصة للمستمعين للتعليقات اللاذعة شخصية على الإمام الذي يقدم نفسه من ناحية ثقافية أنه يعرف كل شيء، وأفضل من الجميع...

6. 2- النكتة ونقد المفاهيم السائدة: وهذا الهدف هو الأساس، وذلك أن النكتة تنطلق من مسؤولية بيان الخطأ والتصحيح، المسموح والممنوع، العقدة والحلّ...وهل هي نوع من التصحيح الاجتماعي قد يكون ذلك لكنه غالبا يتم بصفة غير مباشرة، فالنكت حول بخل المعلمين ليس فيها أمر بالكرم ولا إشادة بأهله بصفة مباشرة، ولكنها انتقاد لمن يفترض فيه الكرم والإيثار من واقع المهنة والأجرة، والنكتة المتعلقة بالزوجة أو الزوجة حول المرواغة ومحاولة التجاوز من جهة اليمين ليس فيها أمر بالوضوح ولا بالتراتبية المطلوبة بصفة مباشرة، وإنما " افهم آلفاهم.".

6. 3- النكتة والتشهير بشخصيات محددة: النكتة كعاكس لظواهر اجتماعية لا تلقى الرواج إلا بمقدار اتساع دور موضوعها والشخصيات الفاعلة فيها من ناحية اجتماعية، فالمعلم والصبيان، ونفقات البيت، والمدير أو المفتش، والزوجان والحماة أو الأولاد أو الجيران، والأب البخيل، والتاجر الطماع...كل هذه شخصيات تقوم النكتة بالتشهير بها، وبالمقابل وعلى فرض أن هذه الأطراف بدلت شخصياتها إلى المطلوب اجتماعيا لا تلقى أي دعم من جهة النكتة إذ المقصود قد تم، كما تمت الاستفادة من فرق الأوضاع.

وحضور المرأة في النكتة الشعبية لا يقل عن المساحة التي تشغلها في الحياة، إذ كان هامش النكتة يتناسب وما تعكسه من المساحات الاجتماعية؛ لذلك نراها أوسع ما تكون فيما يسود في اليوميات المتكررة، كالمعلم وأكثر منه المرأة لتعدد الأدوار " لذلك نجد حضور موضوع المرأة يتمثل جليا فيها، لأنها الكائن الأكثر خضوعا للتقاليد والأعراف والعادات، واستطاعت من خلال سلوكها وأفعالها وأقوالها أن تشكل صورة خاصة لنفسها في الذاكرة الوجدانية الشعبية." [16]. ومعنى التقاليد هنا تفاصيل الحياة لا أكثر.

6. 4– النقد والتقويم: مع ما تقوم عليه النكتة الشعبية من عنصر الهزل والسخرية إلا أن ذلك لا يفقدها حسها النقدي بل كثيرا ما يكون ذلك يقول مارفن مينيسكي وهو أحد الآباء الشرعيين للذكاء الصناعي، إن النكتة تطورت لتبيان الخطأ في منطقنا. أي عندما يضل منطقنا، فإن الضحك يعيد لفت تركيزنا إلى الخطأ. وهو نص أوردته من قبل فلا معنى لإعادته وإعادة التعليق عليه.

– الفكاهة والسخرية: تحافظ النكتة الشعبية على نمط محدد يكاد يتكرر مع بعض الفروق الشكلية والبسيطة، وإذا اختلفت الأهداف فلن تختلف الطبيعة إلى الدرجة التي يتعرف من خلالها على كون تعبيرات معينة نكتا شعبية لا غير. ولأجل هذا نستطيع أن نركز على الأساسيات المكونة للنكتة، ومن خلالها نكتشف ببساطة طبيعة النكتة.

6. 5– عامل السخرية: السخرية قد تكون الهدف من النكتة لكن الفكاهة هي الطبيعة، والنقد هو الهدف غالبا من النكتة على اختلافها، لكن النقد اللاذع أيضا هدف للنكتة الساخرة، ولا نكاد نجد نكتة شعبية جادة، معبرة بدون مبالغة عن واقع ما، وهي في نفس الوقت تنتقد ذلك الوضع. وإذا كانت السخرية قد تختلف درجاتها بين بسيطة ولاذعة فهي دائما سخرية تحظى بالإعجاب وتنعت بالإثارة. وعلى سبيل التحديد يحسن أن نفرق بين الفكاهة والسخرية فقد يجتمعان وقد يفترقان " وكثيرا ما يخلط الناس بينهما، ولا يكادون يفرقون بينهما، حين يشملهم الجو المرح الضاحك، وتنبعث من أفواههم النكات التي يمكن أن تكون لمجرد الإضحاك فحسب، وحينئذ فهي الفكاهة، وقد تكون بقصد اللدغ والإيلام فهي سخرية، وقد تجمع بين الغرضين."[17].

6. 6– تحديد المواقف الظل: ومع اختلاف أنماط النكتة الشعبية فمن الممكن تحديد دوافعها الأساسية؛ ذلك أنها تستهدف " فلسفة اجتماعية متفائلة ومسالمة، تتفق وظائف الضحك فيها مع الرغبة الناعمة في التقارب والإصلاح الاجتماعي. وقد وصف فرويد نكات المهزلة بأنها نكات كتارسية (أي تطهيرية) أساساتها تحرير لا إثارة.". [18]. والقصد أنها تحرير لا إثارة فقط، فإن عامل الإثارة موجود فيها، وهو أحد مكوناتها. ويشعر منتج النكتة أو المستجيب لها أو لنقلْ يقصد بتعبيرنا تصفية ناعمة ومريحة لحسابات شخصية غير مباشرة مع موضوع النكتة أو محيط ذلك الموضوع، وقد كتب بعض المختصين في

هذا المجال الأدبي الظريف والعميق " الثأر السلمي العادل لجماعة الضعفاء مما يجعله أدعى لأن يقترن بالوظيفة الاجتماعية النافعة لا باعتباره أداة محافظة تضمن بقاء التقاليد والتشوهات الثقافية، واستمرار الآداب العامة المرعية فحسب. وإنما باعتباره أيضا وسيلة فعالة لتحقيق ضرب من التغير الاجتماعي.".[19], وفي هذا السياق يقول مارفن مينيسكي وهو أحد الآباء الشرعيين للذكاء الصناعي: " إن النكتة تطورت لتبيان الخطأ في منطقنا. أي عندما يَضِلُّ منطقنا، فإن الضحك يعيد لفت تركيزنا إلى الخطأ."[20].

6. 6– الفكاهة والسخرية: ومن الشائع المتفق عليه أن عنصر الفكاهة أساسي؛ ولذلك فهو متواجد دائما وقد يصل إلى درجة السخرية والنقد اللاذع. وأما بخصوص دواعيه فـ" هي متنوعة ودالة وتعتمد على اشتراك من يلقي النكتة والمتلقي لثقافة مشتركة في حدها الأدنى: مجموعة العادات والتقاليد، والنقائص في الأفراد، ونقائص تلك الجماعة، وكل ما يمكن أن يعدَّ عيبا وغير مقبول فيما بينهم." [21]. وكما تكون النقائص مادية تكون أيضا معنوية وذلك كثير.

7 – عناصر التقبل الاجتماعي للنكتة: لا يمكن تفسير التقبل الاجتماعي لمفردات النكتة الشعبية من مضمون ولغة... بغير استكمالها للعناصر اللازمة لذلك، وأذكر أمورا أقتصر عليها من باب الإشارة لوضوح معناها.

7. 1– الحس والمخيال المشترك: ذكرنا في النص السابق ضرورة وجود حد أدنى من الثقافة في البيئة التي تشيع فيها نكتة شعبية ما، وهو ما يمثل حالة من الاتصال الناجحة، يكتفى فيها كثيرا استعمال الإشارة والرمز إلى صور ومعانٍ أو أشخاص وأحداث...وذلك أن بعض النكت محلية لمحلية خلفيتها الثقافية، وبعضها أوسع من ذلك لاتساع مساحة الرصيد الثقافي المشترك بين المنتج والمتلقي. وهاك النكتة التالية والتي تذكر أن مليونيرا مرّ على بائع كعك فطلب البائع منه أن يشتري منه كعكا. فقال له المليونير: تراهن على قطعة نقود على أي وجه تقع أرضا، فإن ربحت أعطيتك كلّ ما أحمل من النقود والشيكات وإلا خسرت طاولة الكعك. فقال الفقير: إذا أنا خسرتُ لا أعود لأولادي بشيء. فقال له المليونير وهو ينصرفُ عنه: ولدت تبيع الكعك وستموت تبيع وأنت تبيع الكعك.

ونكتة ثانية: أن بعض الأزواج أرادوا توثيق عقد الزواج، فوجدوا الموثق غائبا وقد كتب على الباب: فكر جيدا، وسأعود لاحقا. وهو هاجس مشترك من استثقال فكرة الزواج ومسؤولياتها...

7. 2– لغة التعبير المتاحة: ومن المهم أيضا قالب اللغة الحاملة للنكتة ففي البيئة الأمية يصعب تداول النكتة باللغة الفصحى أو النكتة ذات المضمون النخبوي.. وأما باستعمال العامية مثلا في البيئة المذكورة فلا يستغرب الشيوع الكاسح، والتقبل الكبير، وسرعة رواج أي نكتة جيدة وهادفة ومستكملة لشروطها الفنية. وفيما ذكرته من نماذج سابقة ما يوضح ذلك وغيره. فالنكتة التالية لا تحسُن بغير صياغتها وهي: قالت الأم لولدها إذهب للجارة قل لها: قالت لكي أمي: اعطيني كرْكم (من التوابل) على الغدا، فنسي الولد الكلمة فقال لها: قالت لكي أمي: كلكم على الغدا. والتعليق: أن الولد لا يزال مربوطا بالنخلة من البارحة.

7. 3– استهداف الموضوعات الحيوية: والتعبير بالظواهر الاجتماعية يوحي بأهمية موضوعات ما يكون ظاهرة تنسب للمجتمع، والاهتمام الجماعي بالنكتة الاجتماعية يفسر ذلك، ولذلك نقول: نكتة شعبية مضافة إلى الشعب وهو عدد مفتوح على الكثرة. كما يوحي أيضا بعزل النكتة ذات الطابع النخبوي، وإن كانت هي أيضا لها شعبية ومساحة وجمهور. ولا شك أن مثل المعلم والزوجين، والحماة، ومسؤولي الدولة...موضوعات هامة للتنكيت المستمر بأشكاله المختلفة.

8. – نقد النكتة الشعبية: لا تخضع النكتة الشعبية كثيرا للمحاكمة من القراء والمطالعين فهي في بنائها الساخر، تتجاوز المنطق بالتركيز على عامل الإثارة، ولا تعتمد أيضا صدق الحوادث، ولا عقلانية النتائج، وبالتالي فهي كثيرا ما تلقى القبول بسبب ذلك وغيره. إن الخروج عن المعهود الاجتماعي هو العامل الأساس في بناء النكتة الشعبية، والإغراب في الحوادث والنتائج هو ما يثير القراء، تماما كما كان يحدث عند " المداح " بالأسواق، فحلقته مجال للكسل الذهني، والإسترخاء النفسي، وفرصة لقبول أكثر المبالغات، والإدعاءات الواسعة، والتسميات الممنوعة، والتعليقات العبثية.

وأذكر أن بعض المداحين طلب بعض المبالغ فأعطاه شخص ذلك فقال له المداح: لو كانت رحتْ شريْتْ بها صابونة غسلْت جلابتَك يا " لموسَّخ " مشّي خيرْ لك، مراكش تشوفْ في ركابيَه قدّاه راهم لو

كان عيني تمشي نخدم على روحي.". فيضغط المداح بهذا على بعض الكلمات والإيحاءات، مما يثير الفكاهة عند السامعين بما فيهم الشخص الموجه إليك الكلام.

وأقصد بالنقد هنا محاولة التقويم لأثر النكتة الشعبية في المخيال الاجتماعي، وما يؤديه دورها من الحالة الإيجابية أو السلبية، خصوصا إذا فقدت عامل التحفظ، أو اعتمدت على التشهير بشخص أو أهل مكان معين.

ومن أهداف النكتة الشعبية وهي تستعرض الموضوعات الحساسة في حياة الناس أن تكشف عن النفسيات العميقة التي يتم بها تفسير كثير من أنماط السلوك، وغالبا ما تكون تلك النفسيات رديئة، من ذلك مثلا " أن أهل قرية أرادوا أن يساعدوا بعض المحتاجين منهم، فاتفقوا أن يضع كلٌّ واحد منهم إناء من اللبن يوميا في برميل الفقير، فرأى أحدهم أن يضع إناء من الماء، فإن ذلك لا يغير من الأمر شيئا لقلّته، فلما فتحوا البرميل لم يجدوا غير الماء، فقد فكر الجميع بنفس الطريقة. وفي ذلك من الخسة ما لا يخفى، إذ كان ذلك بخلا بالقليل في غير محله. فالنكتة الشعبية " من الفنون الأقدر فهما لواقع الفرد."[22].

وأذكر هنا نكتتين على لسان بعض الحيوانات، وكثيرا ما يكون الغرض تقرير حقائق معينة أو التعريض باشخاص محددين، انطلاقا من تصنيف مواقفهم في خانة السلبية، وذلك أن الذئب لقي الحمار في وسط عشب أخضر فقال الذئب: إنه عشب أخضر جميل. وهو محقّ في ذلك. فقال الحمار: كلا إنه عشب أصفر؛ فتجادلا كثيرا. فلما احتكما إلى الأسد حكم للحمار بالبراءة، وسجن الذئب شهرا، والتهمة أنه جادل الحمار.

وفي نكتة أخرى أن الأسد نام فاستيقظ وقد ربطه الذئب، ولم يجد غير الحمار يطلب منه أن يفكه. واستغل الحمار الفرصة فاشترط أن يكون له جانب من الغابة. فلما قام بما يجب عليه، قال الأسد: لا ينبغي لي أن أسكن مكانا يَربط فيه الذئب، ويفك فيه الحمار. وهي تعريض واضح بمن لا تطاق عشرتهم، ولا تحتمل الحاجة إليهم...

لعل مما يلاحظ على النكتة الشعبية أنها غالبا ما تروج بصفة غير مباشرة لمواقف سلبية ونفسيات عبثية، كونها تمرر هذه المتريدات الاجتماعية تحت غطاء السخرية، والفكاهة، فتصير بعد الاستنكار محل

التقبل. من ذلك النكتة التالية يعيدها بعض المداحين بأساليب مختلفة تثير السخرية مع كونها لاذعة في حق من تناولتهم، " أن المداح قال وين راك يا مرضي الوالدين هات لي خمسة آلاف سنتيم، وإذا أنت غضَّبت والديك مع الصباح غير بعدني ما خصني منك والو. فقال له بعض الحاضرين هاك عشرة آلاف سنتيم، ولكني صفعت والدي هذا اليوم، فقال له المداح: هات، حتى بعض الوالدين يصبحوا خطرات غير ينبوحوا كالكلاب.". فيثير ذلك في الجمهور ضحكا كثيرا، وتقبلا للسخرية، إضافة إلى الترويج للكلمات البذيئة بين الحاضرين...

وفي النهاية أحب أن أشير إلى بعض ما انتهت إليه الباحثة بن قدور حليمة إذ لخصت " العوامل التي تتحكم في تجدد وتكون النكات ما يلي:

- مدى تعبير النكتة المعنية عن المرحلة أو الحالة الراهنة.
- عامل الملل والرغبة في التجديد.
- الأزمات والأحداث والمناسبات.
- تفاوت واقع حرية التعبير والرأي والخوف والكبت.
- الآثار السلبية في المجتمعات."[23].

وفكرة أخرى أن النكتة لا يفترض فيها الوقوع والحدوث في دنيا الناس، بل الغالب أنها محض صناعة، قد لا تكون الأماكن ولا الأزمنة ولا الأشخاص المذكورون فيها من الحقيقة بل ربما من الخيال الأكيد.

خاتمة

نخلص مما سبق إلى أمور عديدة منها:

- أن النكتة الشعبية لون أدبي ظريف شائع في جميع الآداب العالمية.
- النكتة هي إحدى الطرق للكشف عن الظواهر الاجتماعية ونقدها.
- يعود التقبل الجماهيري الواسع للنكتة، إلى طبيعة موضوعاتها، وما تتيحه من التنفيس بالفكاهة، والنقد الساخر...
- اللغة العامية غالبا ما تلقى رواجا منقطع النظير عند الجميع.

– تعدد وتطور منابر النكتة الشعبية عامل أساس في انتشارها الواسع.

– أن النكتة في النهاية لا يشترط فيها أن تكون قد وقعت في المجتمع. ونشير إلى أن النقد كثيرا ما يتم بواسطة النكت الشعبية سواء في المجال الاجتماعي وهو الكثير وأيضا المجال السياسي، وهكذا تستمر النكتة كما بدأت اهتماما شعبيا له قيمته الفنية.

الهوامش:

[1] – مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ج 5/ 128.

[2] – محمد بن علي الجرجاني، التعريفات. ص: 246.

[3] – أبو البقاء الكفوي، الكليات. ص: 249.

[4] – مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط. 2/ 950.

[5] – عبد الله الهاشمي، مقال: النكتة أصلها وحقيقتها، مقال إلكتروني موقع: http://ecat.kfnl.gov.sa:88/ipac20/ipac.jsp?session.

[6] – عبد الله الهاشمي، مقال: النكتة أصلها وحقيقتها، مقال إلكتروني موقع: http://ecat.kfnl.gov.sa:88/ipac20/ipac.jsp?session

[7] – السيد حافظ الأسود، التراث الشفهي ودراسة الشخصية القومية. 275.

[8] – عبد الله الهاشمي، مقال: النكتة أصلها وحقيقتها مقال إلكتروني موقع: http://ecat.kfnl.gov.sa:88/ipac20/ipac.jsp?session

[9] – يحي البشتاوي، النكتة الشعبية ودورها في النقد السياسي، مقال بمجلة الفنون الشعبية، العدد:10 سنة 2016م. ص/01.

[10] – الهواري بوكفوسة، تمثلات المرأة في النكتة الشعبية الجزائرية بين القبول والرفض، مقال بمجلة روافد، العدد: 01، جوان 2108م

[11] – علي أفرفار، صورة المرأة في المنظور الديني والشعبي والعلماني (دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1996م).ص: 56.

[12] – النكتة في مواجهة الأزمة، عبد الوهاب الروحاني، مقال إلكتروني: 2015/03/03م العدد:13244.

[13] – النكتة في مواجهة الأزمة، عبد الوهاب الروحاني، مقال إلكتروني: 2015/03/03م العدد:13244.

[14] – يحي البشتاوي، المرجع نفسه. /03.

[15] – الهواري بوكفوشة، المقال السابق. ص: 3.

[16] – الهواري بوكفوشة، المقال السابق. ص: 3.

[17] – محمد أمين طه نعمان، السخرية في الأدب العربي، (الناشر خاص، 1979م) / 09.

[18] – إبراهيم عبد الله غلوم، بنية الكوميديا الهزلية (دار الانتشار العربي، بيروت، ط:01، 2012م) ص/69.

[19] – – إبراهيم عبد الله غلوم، المرجع السابق. ص/ 96.

[20] – النكتة ظاهرة ثقافية، السيد نجم، مقال بالإنترنت بتاريخ 2010/12/23م Ab_negm@yahoo.com)

[21] – النكتة ظاهرة ثقافية، السيد نجم، مقال بالإنترنت بتاريخ 2010/12/23م Ab_negm@yahoo.com)

[22] – الهواري بوكفوشة، المقال السابق. ص: 3.

[23] – بن قدور حليمة، الأشكال الفنية في التعابير الفكاهية، قراءة في النكتة، مقال بمجلة التدوين، مجلد 5، العدد 9. ص/234-240.

مراجع المقال:

- مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (دار الهداية، بدون بيانات).
- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات (دار الكتب العلمية، لبنان، 1983م)
- أبو البقاء الكفوي، الكليات (مؤسسة الرسالة بيروت، ب ت).
- لجنة من الباحثين، المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية، ب ت).
- يحيى البشتاوي، النكتة الشعبية ودورها في النقد السياسي، مقال بمجلة الفنون الشعبية، العدد:10 سنة 2016م.
- الهواري بوكفوسة، تمثلات المرأة في النكتة الشعبية الجزائرية بين القبول والرفض، مقال بمجلة روافد، العدد: 01، 2108م.
- علي أفرفار، صورة المرأة في المنظور الديني والشعبي والعلماني (دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1996م).
- محمد أمين طه نعمان، السخرية في الأدب العربي (الناشر خاص، 1979م)
- إبراهيم عبد الله غلوم، بنية الكوميديا الهزلية (دار الانتشار العربي، بيروت، ط:01، 2012م)..
- بن قدور حليمة، الأشكال الفنية في التعابير الفكاهية، قراءة في النكتة، مقال بمجلة التدوين، مجلد 05، العدد 09.